Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9)Issue (2)February(2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

تأثير الثقافة الإسلامية في الشعر العربي الكلاسيكي

أحمد ابراهيم عثمان
مديرية تربية البصرة الإعدادية المركزية للبنين
محمد وليد حرحوش خضير
جامعة الفلوجة/كلية التربية

The Impact of Islamic Culture on Classical Arabic Poetry

Ahmed Ibrahim Othman
ahm24h2001@uoanbar.edu.ip
Mohammed walid Harhoush Khudair
University of fallujah/
Mohammedzou89@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان تأثير الثقافة الإسلامية على الشعر العربي الكلاسيكي من خلال عرض موقف القرآن الكريم، والنبي –ﷺ– من الشعر وتوضيح أثر الثقافة الإسلامية على الشعر والأغراض الشعرية وتكمن المشكلة البحثية بمدى العلاقة التي تربط بين إيمان الشعر وعقيدته وبين الشعر وهل كان لفكره الإسلامي تأثير على شعره وسلك الباحث المنهج الوصفي التحليلي في سبيل الإجابة عن تساؤلات المشكلة البحثية وقد خلص إلى عدد من النتائج كان من أبرزها؛ صنف القرآن الكريم الشعراء إلى صنفين؛ صنف طائش يقول ما لا يفعل ويتبع الشياطين وصنف آخر لا غبار عليهم وهم أهل الإيمان والعمل الصالح والذكر وجدد الإسلام في رؤية الشعراء للأغراض الشعرية، فالرثاء لم يعد البكاء والندب، بل أصبح يحمل قيم وأفكار الدين الإسلامي من إيمان بقضاء الله وقدره والإيمان بالجنة والنار ومن الأغراض الشعرية التي ضعفت وماتت في الإسلام، الغزل ووصف الخمرة والمديح التكسبي.**الكلمات المفتاحية:** (تأثير الثقافة الإسلامية، الشعر العربي الكلاسيكي، الأغراض الشعرية، الشعراء في الإسلام، الرثاء في الشعر الإسلامي، الأدب الإسلامي)

Abstract:

The researcher's study aimed to highlight the impact of Islamic culture on classical Arabic poetry by presenting the stance of the Holy Quran and the Prophet Muhammad (peace be upon him) on poetry. It clarifies the influence of Islamic culture on poetry and its themes. The research problem revolves around the relationship between the poet's faith and creed and his poetry، and whether his Islamic thought had an influence on his poetry. The researcher employed the descriptive-analytical method to answer the research questions. The study concluded with several findings، the most prominent of which are: The Quran classified poets into two categories; a frivolous category that says what they do not do and follows devils، and another blameless category، those of faith، righteous deeds، and remembrance. Islam renewed the poets' perspective on poetic themes; for example، elegy was no longer about crying and lamentation but came to embody the values and ideas of Islam، such as belief in God's decree and destiny، and belief in Heaven and Hell. Some poetic themes weakened and died in Islam، such as love poetry، wine descriptions، and gainful praise.**Keywords:** (Impact of Islamic Culture، Classical Arabic Poetry، Poetic Themes، Poets in Islam، Elegy in Islamic Poetry، Islamic Literature)

المقدمة:

لم يكن الشعر بعيدًا في أي عصر من العصر عن حركة الحياة ولا بمعزلٍ عن روح الأمة ووجدانها، إنّما كان على مرّ الدهور معبرًا عن آلامها وأمالها في أيام انتصارها وانهزامها، يصوّر عملها الدؤوب لبناء حضارتها ويكون المنارة لها في طريق الوصول إلى مبتغاها ويعمل على ألا تزيح عن درب الصواب والرشد ومع البعثة النبوية تأثرت حياة العرب كثيرًا وانعكس هذا التأثر على الشعر والشعراء والحياة الأدبية بصورة عامة، فبعد أن كان يعيش العرب في قبائل وفرق انتقلوا إلى حياة الوحدة داخل الدولة الإسلامية ومع ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه، شرعت أغراض شعرية جديدة بالظهور مثل شعر الجهاد وشعر الفتوحات الإسلامية وشعر الدفاع عن الدين الإسلامي وغيرها من الموضوعات التي ظهرت تأثّرًا بالدين الإسلامي وثقافته، كما ساعد نزول القرآن وظهور الإسلام إلى وجود شعراء ملهمين بالدين الإسلامي وبالقرآن الكريم، فالشعراء في صدر الإسلام تحرروا من الصفات والموضوعات التي كان الشعر عليها في العصر الجاهلي، فكان للإسلام تأثير على أساليبهم فرّقت ألفاظهم وعذب أسلوبهم في شعرهم وأتوا بمعانٍ جديدة لم يعرفها الشعر من قبل وماتت أغراض شعرية نتيجة تأثير الثقافة الإسلامية، فقد كانت تتناول موضوعات حرّمها الإسلام، فتخلى الشعراء عنها إرضاءً لعقيدتهم والتزامًا بتعاليم دينهم ومن هنا جاء بحثنا في دراسة هذا التأثر الذي وجد عند الشعراء في شعرهم الكلاسيكي، فجاء بحثنا تحت عنوان " **تأثير الثقافة الإسلامية في الشعر العربي الكلاسيكي**" حيث جاء البحث في ثلاث مباحث، فقد تناول في المبحث الأول موقف الإسلام من الشعر، فعرض موقف القرآن الكريم وموقف النبي –ﷺ– وصحابته من الشعر، كما استعرض في المبحث الثاني أثر الثقافة الإسلامية في الشعر العربي عبر العصور الإسلامية القديمة وتناول في المبحث الثالث أثر الثقافة الإسلامية في أغراض الشعر الكلاسيكي، من حيث تغيير رؤية الشعراء من الغرض الشعري والأغراض الشعرية التي ضعفت وماتت في الإسلام.

اولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع الذي تتناوله، فتأثير الثقافة الإسلامية لها دور كبير في حياة الفرد المسلم، فهي الصورة الحية للأمة الإسلامية، تحدد ملامح شخصيتها وتضبط سيرها في الحياة، فأهمية البحث تأتي في إظهار الصلة التي تربط جوانح الشاعر المسلم عقيدته وفكره وشعره وبيان تفاعله مع مبادئه وقيمه، التي جاءت من إيمانه بالدين الإسلامي.

ثانياً: مشكلة البحث

كان للإسلام أثرًا عظيمًا في تغيير حياة العرب، حيث غيّر لهم معالم الحياة وعمل على توحيد فرقتهم وأضاء قلوبهم بنور الإيمان، فقد أحدثت تعاليم الإسلام تغييرًا شاملًا في حياة العرب سواءً في الفكر أو العقيدة أو السياسة.فهذا التغيير الذي طال جوانب الحياة كافة لا بدّ أن يكون له تأثير على الحياة الأدبية ولا سيما الشعر وهنا تكمن المشكلة البحثية في مدى العلاقة بين الثقافة الإسلامية والشعر وقد عرف أنّ الشعر فيه الكثير من أغراض اللهو والمجون، التي تخالف التعاليم الإسلامية وبسبب قلة الأبحاث بهذا المجال، كان لا بدّ من بيان مدى تأثير الثقافة الإسلامية على الشعر وأغراضه الشعرية في الشعر الكلاسيكي ومن هنا يمكننا أن نطرح بعض التساؤلات حول البحث.

تساؤلات البحث

١. ما موقف القرآن الكريم والنبي –ﷺ– وصحابته من الشعر؟

٢. ما أثر الثقافة الإسلامية في الشعر العربي عبر العصور الإسلامية القديمة؟

٣. ما أثر الثقافة الإسلامية في أغراض الشعر الكلاسيكي ؟

ثالثاً: منهج البحث

سلك الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة أثر الثقافة الإسلامية في الشعر العربي الكلاسيكي، حيث ذكر الوقائع وحللها وبيّن التأثير الواقع على الشعر.

رابعاً: هيكلية البحث

المبحث الأول: موقف الإسلام من الشعر.المطلب الأول: موقف القرآن الكريم.المطلب الثاني: موقف النبي –ﷺ– وصحابته من الشعر.المبحث الثاني: أثر الثقافة الإسلامية في الشعر العربي عبر العصور الإسلامية القديمة. المبحث الثالث: أثر الثقافة الإسلامية في أغراض الشعر الكلاسيكي. المطلب الأول: تغيير رؤية الشعراء من الغرض الشعري.المطلب الثاني: الأغراض الشعرية التي ضعفت وماتت في الإسلام:

المبحث الأول: موقف الإسلام من الشعر

المطلب الأول: موقف القرآن الكريم

عند تدبر آيات القرآن الكريم نجد أنّ كلمة "الشعر" وردت في عدة مواضع منه ونجد في آيات القرآن الكريم أن الله -ﷻ- نزّه رسوله الكريم -ﷺ- عن قول الشعر، ليدحض ما قاله كفّار قريش عن القرآن الكريم بأنه شعر من تأليف محمد -ﷺ- يقول عزّ جلّ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (سورة يس، آية ٦٩) كما أنه نزّهه عن كونه شاعرًا، فقال عزّ وجلّ: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (سورة الأنبياء، آية ٥) ولعل المتدبر للآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الشعر والشعراء على وجه الخصوص يستنبط منها الحكمة التي أرادها الله بتنزيه النبي عن قول الشعر وهي تتلخص في الآتي: حتى لا يزعم كفار قريش بأن القرآن الكريم من نظم النبي حيث أن المجتمع آنذاك جله يقرض الشعر ويتذوقه. إن الله تعالى وصف الشعراء في القرآن الكريم بالطيش والقول المخالف للعمل وهذا يتنافى مع النبي الله وأخلاقه التي قال فيها المولى عز وجل:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم، آية ٤)ولو أن النبي -ﷺ- شاعرٌ يقول الشعر وينظمه لاقتضاه ذلك حسب عرفهم وعاداتهم أن يكون شاعراً مطلقاً وتلك مصيبة وإما أن يكون غير مقلق وتلك مصيبة أيضاً (بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ٣٣). لذلك جاء تنزيه المولى للنبي الله عن أن يكون شاعراً ينظم الشعر وتنزيه القرآن عن أن يكون شعراً وهذا لا صلة له بمسألة ذم الشعر ولا بتحقير الشعراء، (بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ٣٢) ومن هنا جاءت حكمة تنزيه النبي -ﷺ- عن قول الشعر، حتى يعرف الكفار أنّ القرآن من عند الله ومن ثم لا يجدون سبيلًا إلى القول بأنه من نظم النبي، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت، آية ٤٨)وعندما تحدث القرآن الكريم عن الشعراء صنفهم إلى صنفين:

١. صنف طائش يقول ما لا يفعل ويتبع الشياطين.

٢. صنف آخر لا غبار عليهم وهم أهل الإيمان والعمل الصالح والذكر.

وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَى أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء، آيات ٢٢٤–٢٢٧). فهذه الآية ليس الذم فيها للشعر على إطلاقه وليس التبخيس موجهاً للشعراء جميعاً، إن الذم الموجه هاهنا إنما هو النوعية معينة من الشعر المتفلت من كل قيد الشارد الحاطم لكل بناء المقوض لكل أساس من أسس المجتمع الرشيد وإن الشعراء الذين عنتهم الآيات إنما هم أولئك الذين جعلوا من أنفسهم دعاة باطل وأبواق ضلال ومعاول هدم وفساد في الأرض كبير. (بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ٢٧–٢٨) أما النوعية الثانية من الشعر والشعراء هم الذين استثنتهم الآية الكريمة: ﴿... إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء، آية ٢٢٧)وهذه الآية أوضحت بجلاء موقف الإسلام الإيجابي من الشعر والشعراء بعد أن وضعت الضوابط لهما. إذا فالشعراء الذين يلتزمون بالحد الأدنى من قيم المجتمع الإسلامي وأطره ولا يتعدون حدوده الواسعة الرحيبة، فلا اعتراض ولا تثريب عليهم ولا لوم ولا ذم ولا انتقاص من قيمتهم ومنزلتهم ولا حد من حرياتهم الفنية. (بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ٣١)من خلال الآيات تكون النظرة الدينية لكل من الشعر والشعراء قد انجلت لنا بوضوح، فالقرآن الكريم لم يحظر أو يمنع أو يحرم الشعر ولكنه نزه نفسه من أن يكون شعرا ونزه النبي -ﷺ- له من أن يكون شاعراً. وفرّق لنا بين الشعر المتفلت المقوض لأسس المجتمع الرشيد وبين شعر الفضيلة الذي يدافع عن الإسلام والمسلمين وأيضاً فرق بين الشعراء الغاوون دعاة الباطل والفساد وبين الشعراء المؤمنين الصالحين الذاكرين الملتزمين بقيم المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: موقف النبي -ﷺ- وصحابته من الشعر:

وردت لنا أخبار كثيرة في كتب الأحاديث النبوية والسير تتعلق بمواقف النبي وصحابته من الشعر وكل هذه الأخبار والأحاديث تكاد تنحصر في نوعين من المواقف: مواقف تؤكد إعجابه بالشعر والاستماع له وحث شعراء المسلمين على قرضه وطلب روايته وإنشاده عليه. مواقف ذم فيها النبي الشعر وهي قليلة، فقد ثبت من خلال الأحاديث الصحيحة أن النبي كان يشجع شعراء المسلمين، لما يعلمه من فعل الشعر بأعداء الإسلام وعنه قال: {إن المؤمن يجاهد بسيفه وبلسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نفح النبل} (ابن حنبل، مسند أحمد، ٢٨٧/٢) ومما يدلل على مكانة الشعر عند النبي أنه كان يقال في مسجده وفي حضرته وهو يسمع. وبذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر، (أبو داود، سنن أبي داود، ٤١٦/٤) ينافح عن النبي الله ويخرس أعداءه. فكان النبي يعجب بالشعر ويثني عليه وثبتت له مواقف مؤيدة للأدب، مشجعة للأدباء، آخذة بيد الشعر والشعراء ويتجلى ذلك في كثير من الأقوال والأفعال والمواقف، (بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ٢٢) من ذلك قوله: {إن من البيان لسحراً}. (البخاري، ١٩٩٣، صحيح البخاري، ١٩٧٦/٥، حديث ٤٨٥١)ومن مواقفه التي أعجب فيها بالشعر إعجاباً بالغاً عندما أنشده كعب قصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم إثرها لم يفد مكبول**

فخلع النبي –ﷺ– بردته وألقاها على كعب مكافأة له ومن إعجابه بجيد الشعر وطلب إنشاده، ما رواه مسلم عن عمرو بن الشريد رضي الله عنه أنه قال: ردفت رسول الله يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ فقلت نعم قال: ((هيه)) حتى أنشدته مائة بيت. (مسلم، ١٩٨١، صحيح مسلم، ١٥/١٥) وكان النبي يطلق الأحكام على الشعر وينتقده ويقوم فيه إذ يقول عن أمية بن أبي الصلت: "فلقد كاد يُسلم في شعره"، (مسلم، ١٩٨١، صحيح مسلم، ١٥/١٥) ويصدر حكماً آخر حين يقول: أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل" (مسلم، ١٩٨١، صحيح مسلم، ١٢) أما المواقف التي ذم فيها النبي –ﷺ– الشعر وعلى الرغم من قلتها وحتى تكتمل الصورة لا بد أن نتعرض لها، حتى نتمكن من الوقوف على النظرة الدينية الصحيحة للشعر، فقد جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل أن النبي قد ذم الشعر وبغض فيه إذ قال: {لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه" يفسده" خير له من أن يمتلئ شعراً} (مسلم، ١٩٨١، صحيح مسلم، ١٥)وقد اجتهد كثير من العلماء في شرح وتأويل هذا الحديث حتى يتعارض مع الأحاديث الكثيرة والصحيحة التي قالها النبي في مدح الشعر وقد اعتمد بعض هؤلاء العلماء على الحديث الذي رواه سيدنا جابر ويقول: {لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً "أو دماً" خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به} (العسقلاني، فتح الباري، ٤٥٩/١) والذم في هذا الحديث كما يقول ابن رشيق.... إنما هو في من غلب لشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن...) (ابن رشيق، ١٩٧٢، العمدة، ٣٢/١) إذا فالمذموم هاهنا امتلاء النفس والمشاعر والأحاسيس بالشعر حتى يصير الشعر هو الشغل الشاغل للفرد، المالئ عليه أقطار نفسه، الواضع له في دائرة الهوس الذي يصرف عن الواجبات الأخرى الأكثر أهمية. (بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ٣١) فإذا كان ما ذكرناه آنفاً هو موقف الرسول من الشعر، فمن المؤكد أن أصحابه رضوان الله عليهم لا يختلفون معه في نظرتهم للشعر، فسيدنا أبو بكر الصديق كان كثير الحفظ والتمثل بأشعار الجاهليين وكان النبي دائماً يسأله عن صحة ما يروى من الأشعار .وسيدنا عمر بن الخطاب كان مهتماً بالشعر ويحض على روايته وله آراء نقدية فيه. (ابن رشيق، ١٩٧٢، العمدة، ٣٣/١)أما سيدنا عثمان بن عفان فلم يكن مهتماً بالشعر، غير أنه لم يكن ينهى عنه ولا عن روايته وإنشاده.أما سيدنا علي كرم الله وجهه فقد كان يروي وينظم الشعر ويتمثل به وكان الشعر أحد أهم أسلحته في مسيرة حياته الحافلة بالأحداث وكان يقول: "الشعر ميزان القول" (ابن رشيق، ١٩٧٢، العمدة، ٣٤/١) وقد نسب إليه شعراً كثيراً في الزهد والحكم والتقوى، غير أننا لابد أن نأخذ ذلك الشعر بالفحص والتمحيص، لأن شعر الفترة النبوية يكثر فيه الوضع. (الجبوري، ١٩٦٤، الإسلام والشعر، ص ١٢٧)ومن الملاحظ أن العصر العباسي عامة قد اتسع فيه عمق التأثير بالقرآن وذلك لاستقرار الدولة وقد كان هذا التأثير واضحاً عكس ما كان عليه صدر الإسلام وعصر بني أمية إذ لم نلمح هذا الأثر بصورة واضحة ولم نر تغييراً كبيراً في أغراض الشعر وضروبه على النحو الإسلامي المطلوب وهذا ما دفع غرونبام بأن يقول: (ومن الغريب أنه لم يمض جيلان على ظهور الإسلام حتى امتلأ الأدب العربي بالموضوعات وبصور التعبير المتصلة بالدوافع الدينية). (غرونبام، ١٩٥٩، دراسات في الأدب العربي، ص ١٤٨)وقد تبلور هذا التأثير وظهر عند جماعة من شعراء العصر العباسي نحسب أن البحتري الذي اخترناه لهذا البحث تأثر بذلك موضوعاً ولغة وأدباً وعاطفة.

المبحث الثاني: أثر الثقافة الإسلامية في الشعر العربي عبر العصور الإسلامية القديمة

المطلب الأول: أثر القرآن الكريم والسنة النبوية على الشعر.

لابد أن أتحدث عن الأثر الذي أحدثه الإسلام في الأدب واللغة، فعندما جاء الإسلام لم يكن عقيدة فحسب، بل هو سلوك خلقي قويم مبني على قيم عقلية وأخلاقية راسخة، فكان بمجرد ظهوره وانصداع أنواره أن قضى على عبادة الأوثان وشرك الجاهلية المتجذر في النفوس بكل ما حوى من كهنوت وشعوذة وفحش وغواية. وتعمق الإيمان في النفوس، فقد ارتقى الإسلام بعقل الإنسان وأمره بالتأمل والتدبر واستعمال العقل في النظر إلى خلق الله كذلك قام الإسلام على قيم اجتماعية فقضى على التنافر والعصبية القبلية ووضع أسس وقواعد اجتماعية قوية فكان نتاج ذلك كله أمة متراحمة متماسكة متعاونة على البر والتقوى، فأصبح الإسلام هو المحرك للفرد عقلياً وروحياً واجتماعياً.والقرآن الكريم ببلاغته وإعجازه ولغته العالية هو الدستور الذي يضبط هذه الحركة العقلية والروحية والاجتماعية، فكان لا بد من حدوث تغيير في الحياة العامة في جزيرة العرب، ليس في مجال الأدب ولغته فحسب، بل في نواحي كثيرة من الحياة وبما أني أتتبع الأثر الذي أحدثه الإسلام في اللغة العربية وبما أن اللغة العربية هي أداة الأدب الحقيقية كان لزاماً على أن أتبين أثر الإسلام فيها.والمعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب وجمعهم على لهجة واحدة من بين لهجات العرب هي لهجة قبيلة قريش والسبب لأنها أفصح اللهجات العربية وهذا أتاح للغة العربية سرعة الانتشار الواسع والديمومة والحفظ وبذلك أصبحت اللغة العربية بفضل القرآن الكريم لغة حية وخالدة بإذن الله. ومن آثار القرآن الكريم على اللغة العربية أن حولها إلى لغة ذات دين سماوي باهر وبذلك أحل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبل، حيث أن خلق معاني جديدة (الباقوري، ١٩٧٣، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ص ٦٥)

فأضاف إلى معانيهم التي يستخدمونها معان جديدة وتصرف في معانيهم القديمة وهذبها وزاد فيها أو نقص منها ووضعها مواضع تناسبها بحيث أصبحت تلائم كل الأذواق في كل العصور.أما أثر القرآن الكريم في الأسلوب فهو أثر واضح وكبير، فالأسلوب الذي نزل به القرآن لا يضاهي ولا يضارع، فنجد أنه يحوي الأسلوب الذي نزل به القرآن لا يضاهي ولا يضارع، فنجد أنه يحوي الأسلوب الخطابي والأدبي والقصصي، كما أن القرآن ارتفع بالأساليب القديمة وصاغها في قالب جديد وذلك من خلال تهذيب اللغة والابتعاد عن الألفاظ الغريبة، فخرجت في هذا الأسلوب الزاهي، الذي هو معجزة في البيان والبلاغة. ومن آثار القرآن على اللغة العربية أنه أحدث نهضة علمية باستنباطه العلوم جديدة لرفع اللحن عنه، كالنحو العربي إذ أن أهم أسباب الاهتمام به ووضع قوانينه وقواعده هي تفادي اللحن في قراءة القرآن الكريم. كما أن القرآن أثر أيضاً في تطور الدراسات اللغوية، فقد بدأت الحركة اللغوية في مطلع القرن الثاني الهجري بعد الفتوحات الإسلامية الواسعة واستقرار دولة بني أمية، هذا الاستقرار الذي أدى إلى انتشار العرب في كل البلدان المفتوحة، فساعد ذلك في انتشار اللغة العربية، مما كان له أثراً كبيراً في تطور الدراسات اللغوية. وقد كان القرآن الكريم المحفز والدافع للاهتمام باللغة العربية من قبل سكان تلك الأمطار المفتوحة، فالقرآن كتاب العربية الأول والعربية لغته، فكان لابد للمسلين في تلك البلدان من تعلم ودراسة اللغة العربية حتى يتثنى لهم حفظ القرآن وتلاوته. وأقبل الأعاجم على تعلم اللغة والتبحر فيها حتى يتمكنوا من معرفة التفسير وشرح غريب القرآن ومشكله فأصبح الإقبال على دراسة القرآن واللغة والشعر ضرورة ملحة، الهدف منها خدمة التفسير، ثم التنقية اللغوية وقبل ذلك المحافظة على القرآن الكريم وفهمه.ومما لا يخفى على أحد أن للحديث النبوي الشريف أثراً واضحاً في الأدب واللغة وإن كان هذا الأثر لا يبلغ أثر القرآن الكريم الذي أحدثه فيهما .ويرجع ذلك إلى أن الحديث دون القرآن في البلاغة والبيان، على الرغم من أن النبي صاحب السنة المطهرة أفصح من نطق بالضاد وتكلم العربية ويمكن لنا أن نلحظ أثر الحديث في الأدب ولغته في أنه عاون القرآن الكريم في انتشار العربية وحفظها وبقائها ومن آثاره أيضاً أنه هيا نشأت الكتابة التاريخية لا في السيرة فحسب، بل في تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم، كما نشا عليه علوم الحديث والفقه والتفسير مما بعث على نهضة علمية واسعة.

المطلب الثاني: أثر الإسلام في الشعر

المجتمع الجاهلي قبل الإسلام في حالة تزعزع اجتماعي ونزاعات دامية بين القبائل، فكان المجتمع يرزح تحت نير الجهل والظلم، فكان لا بدّ من تغيير يحدث إصلاحاً في هذا المجتمع المتفكك وعندما جـ الإسلام غير تلك المفاهيم القديمة ووضع أسس وقواعد متينة تقوم على قيم عقلية وروحية واجتماعية تخالف ما اعتاده وألفه الجاهليون، غير أن هذا التغيير في العقلية يستلزم تغييراً ما تروج له هذه العقلية وما تبثه من أفكار وآراء وأقوال في مجالي النثر والشعر.كما أن الإسلام أثر في الشعر نفسه وذلك من خلال حركة الفتوحات والمنازعات على الإمامة ويتضح ذلك الأثر الذي أحدثته الفتوح الإسلامية من خلال تأثر العرب بالحضارات والمدنيات والعقليات الوافدة والتي امتزجوا بها بالأجناس المتعددة مثل الفرس والروم والأتراك واليونان والهنود وغيرهم، فظهر من هذا التلاقح والتفاعل الثقافي أدب راق في كل الضروب. ومن أثار الإسلام في الشعر أيضاً ما تركته الخصومة على الإمامة فقد أحدثت جدلاً واسعاً بين المسلمين فتحزبوا إلى فرق عديدة هي التي قادت المسلمين إلى الخلاف في الخلافة الإسلامية بين سيدنا علي –كرم الله وجهه– ومعاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وقد أدى هذا الخلاف إلى نمو الوعي السياسي والذي ترتب عليه ظهور شعراء الفرق والمذاهب وأصبح لكل فرقة شعراء يعبرون عن آرائها المذهبية، فكان الأثر الإسلامي ظاهراً جليا في شعر تلك الفترة.كما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة كان لهما الأثر الواضح في نمو وتطور الشعر العربي ومرد ذلك أن القرآن جاء بلسان العرب فأسهم بفاعلية كبيرة في تطور الحياة الفكرية، فهو على درجة عالية من البلاغة وجاء بأساليب جذابة ومنسقة لم يعهدها العرب من قبل، مما قاد الأدباء إلى الاقتباس من عبارات ومعاني وأساليب القرآن واكتسبوا كذلك في أشعارهم طرق المنطق والحوار ونأى الشعراء عن مهازل الجاهلية وعف لسانهم بتهذيب الأسلوب القرآني. (الجيزاوي، دراسات في الأدب العربي، ص ٢٨)هذا هو الأثر المباشر للقرآن في الشعر، أما الأثر غير المباشر فيتضح في رواية الشعر وجمعه، فلو لا القرآن الكريم ما جمع الشعر وما اهتم به الرواة، (مكرم، ١٩٦٥، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٣٢٩)وجاء جمع الشعر في مجموعات ودواوين ليحفظوا للقرآن واللغة شواهدها وليقطعوا على الانتحال والوضع كل سبيل وللاستشهاد به على معان غريبة في القرآن ومما يدل على ذلك أن ابن الأنباري كان يحفظ ثلاثين ألف بيت للاستشهاد بها (مكرم، ١٩٦٥، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٣٢٩) وأن الشافعي كان يحفظ عشرة آلاف من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها. (السيوطي، المزهر، ج١، ص ٦٠)كما أن الدراسات التي قامت حول إعجاز القرآن من ناحية نظمه ظلت تنمو وتزدهر حتى توصل علماء إعجاز القرآن إلى دقائق ولطائف كثيرة في أسلوب القرآن وقد أفادت هذه الدراسات الأدب العربي بصورة عامة وأستمد منها القواعد والأصول وكان لها الفضل في نشأة ذوق أدبي قرآني في البيان وفنون القول وتقدير أسرار الجمال في الأسلوب العربي. (سلام، ١٩٦١، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص ٢٣٢–٢٣٣)وقد

كان للحديث النبوي أثر في الأدب والشعر إذ أن قائله أفصح الناس جميعاً ولم تكن فصاحته مقصورة على جودة الأسلوب وعمق المعنى بل جاوزته إلى الأداء وبالقرآن والسنة بدأ التغيير الأكبر في أدب العرب شعراً وخطابة وحكمة وقصة وملحمة وما إلى ذلك من أساليب وفنون أدت مهمتها في الرسالة، (بريغش، ١٩٩٦، الأدب الإسلامي أصوله وسماته، ص ٢٠٢)ومما لا شك فيه أن للإسلام أثراً واضحاً في الأدب العربي على مر العصور والذي يهمنا العصر العباسي والذي اتسع فيه عمق تأثير القرآن وذلك الاستقرار الدولة وكثرة فرص تلقيه في حلقات المساجد وميادين التعليم والتدريس وكما يقول بروكلمان: لم يؤثر الإسلام تأثيراً عميقاً في شعراء العرب ولم تسد روح الإسلام حقاً إلا بعد ظهور العباسيين وهكذا نما في عهد العباسيين أدب إسلامي بلسان عربي. (بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣٦/١)

المبحث الثالث: أثر الثقافة الإسلامية في أغراض الشعر الكلاسيكي

المطلب الأول: تجديد رؤية الشعراء من الغرض الشعري

أولا: غرض الرثاء الرثاء أحد فنون الشعر القديمة التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي وهذا الفن الشعري يمثل غرضًا أساسيًّا في القصيدة العربية القديمة وقد رأينا أنّ هناك شعراء تخصصوا بهذا الفن الشعري بما وصلنا عنهم من شعر ولعلّ الخنساء هي أبرز مثلًا على ذلك وهناك قصائد أخرى وصلت قمة النضج الفني كقصيدة لبيد في رثاء أخيه أربد ومراثي الشعراء العرب قديما تدور ضمن أساليب عرفها الشعر العربي كالندب وهو ما شاع في غرض الرثاء الجاهلي وهو ما وجدنا عليه مراثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية (الحمدان، دليل مكتبة المرأة المسلمة، ٢١٥/٤)والتأبين وهو الشائع منه ويقصد به تعداد مناقب الميت وهناك رثاء العزاء الذي لم يكن شائعا لأنه يتطلب التريث والتأمل والاستنباط والرثاء في ظل الإسلام بدأ ينحو منحىً جديدًا، مع أنّ الشاعر فيه ظلّ يخوض ضمن هذه الأساليب الثلاثة الشائعة في الرثاء وهي:

أ. رثاء الندب: ويراد به بكاء الميت بحرقة وألم وإثارة مكامن الأحزان لدى الآخرين عليه وهذا اللون لا يتناسب تقريبًا مع النهج الإسلامي ولم يجد أجواء مناسبة تشجع عليه. (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية، ص ٣٠٤)

ب.رثاء التأبين: وهو تعداد المناقب الحسنة للميت والإشادة بها، كالكرم والشجاعة والحلم والعلم والصبر وغيرها وهذا اللون من الرثاء يشبه المديح، بل هو مديح الميت وهو أيسر أنواع الهجاء وأسهلها على الشاعر(المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية، ص ٣٠٤)

ت.رثاء العزاء: وهو لون من الرثاء يقف الشاعر فيه متأملًا متفكرًا في حادثة الموت يستنبط منها العبر ويتأمل في الحياة والموت والفناء ويخرج بفلسفة خاصة ازاء هذا الحدث الكبير وهذا اللون من الرثاء قليل النظم عند الشعراء لم يتيسر للكثيرين فهو يحتاج ثقافة وعلم ودراية وحكمة. (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية، ص ٣٠٤)أما الرثاء الإسلامي فقد ظل الشاعر فيه يخوض ضمن هذه الأساليب الثلاث مع وجود تطور واضح سوف نأتي عليه ولكن علينا وقبل أن نتعرف على التطور الذي أصاب هذا الغرض (الرثاء) في ظلّ الإسلام أن نبين بعض القيم والأفكار التي كان لها أثر كبير على غرض الرثاء وشعرائه في ظلّ الإسلام منها: (الناصر، ١٤١٠، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، ص ١٨)

-تشريع الجهاد فريضة واجبة على المسلم القادر وهو جزء متمم للإيمان يثاب عليها المجاهد.

-الإيمان بقضاء الله وقدره، فكرة تخفف كثيرا من ألم الموت ووقعه على الانسان

-الإيمان بأن هناك حياة أخرى بعد الموت بعد ان كان المفهوم القديم انها حياة واحدة هي الحياة الدنيا

-الإيمان بالجنة والنار والحساب والثواب والعقاب وكلها مفاهيم إسلامية جديدة. الشهادة قيمة عليا يثاب عليها صاحبها بأعلى جنان الفردوس. التصبر وترك الجزع، فأقصى ما يقال عند الموت (إنا لله وإنا اليه راجعون) وكما في قوله تعالى: ﴿والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾ (سورة البقرة، آية ١٥٦) من خلال ذلك نعلم أن الشاعر الإسلامي أصبح يرثي وفقًا للمبادئ والقيم والأفكار التي أرادها الإسلام وحث عليها والتي ذكرناها أعلاه ولا نريد أن نقول بأن الشاعر الإسلامي امتثل لتلك القيم والأفكار وسار على الطريق الذي أراده الإسلام، لا... ولكنه قدر الإمكان حاول وقد أخفق أحيانًا ونجح أحيانًا أخرى، أما مظاهر التجديد في الرثاء فيمكننا إجمالها بالاتي: (الشورى، شعر الرثاء في صدر الإسلام، ص ٤٠)

١. كثرة هذا الغرض لاسيما رثاء الشهداء وذلك لكثرة الحروب وسقوط الشهداء فيها دفاعًا عن الإسلام وتلبية لنداء الجهاد الذي شرعه الله للضرورة، فكثرة من استشهد من المسلمين في المعارك كانت موضوعا خصبا للشعر العربي الذي وقفت طائفة كبيرة من الشعراء يصفون الشهادة بروح إسلامية وبمعايير فنية تجلى فيها الصدق الفني والعاطفي.

٢. الطابع الإسلامي الواضح والذي ينمّ عن روح إسلامية من خلال كثرة ورود ألفاظ من القرآن الكريم ومعان وأفكار دارت حولها قصائد الرثاء الإسلامية وتعد هذه الظاهرة أول علامات التطور الذي طرأ على هذا اللون من الشعر

٣. انحصر الرثاء على الشخصيات الإسلامية صاحبة القيادة والرأي وأولها شخصية الرسول والخلفاء الراشدين، والشهداء وكان ذلك انطلاقا من إعجاب الشعراء بالأعمال الجليلة لهذه الشخصيات ولاسيما شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام والشهداء الذين امتثلوا لأمر الله وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الإسلام ورفعته وانتشاره (الشورى، شعر الرثاء في صدر الإسلام، ص ٤٠)

٤. جمع الشعراء بين أساليب الرثاء كافة مع ترجيح أحدها على الآخر (ندب، تأبين، عزاء) ويبدو أنّ أكثرها رواجا كان رثاء التأبين لسهولته وعدم تعارضه مع القيم الإسلامية أما الندب فكان لا يتناسب مع روح الإسلام ويتعارض مع المثل والأفكار الإسلامية فنراه قليلًا عند الشعراء ولكنّنا لانعدم هذا اللون من الرثاء أحيانًا وغالبًا ما يأتي ممزوجًا مع رثاء التأبين، أمّا العزاء فكان قليلا لأنه كما ذكرنا يحتاج الى تأمل وتفكير وتأن والشاعر آنذاك ليس لديه متسع من الوقت لمثل هذا التأمل، كذلك مثل هذا الرثاء يحتاج الى دراية وفلسفة وثقافة وتعمق في الفكر الإسلامي ولا نظن أن الشعراء في تلك المرحلة امتلكوا مثل هذا لأنها مرحلة سريعة وقصيرة ومليئة بالأحداث الجليلة والعظيمة التي كانت أكبر من إدراك الفرد أو الشاعر واستيعابه.

٥. تأثر الشعراء بأسلوبين تجلت بوضوح في شعر الرثاء لديهم وهما: الأسلوب الجاهلي القديم المتمثل باللغة الصعبة الغريبة وندب الميت وإثارة أحزان السامعين والأسلوب الإسلامي المتأثر بالقرآن لفظًا ومعنىً.(الشورى، شعر الرثاء في صدر الإسلام، ص ٤١)ومن ذلك قول حسان بن ثابت: يرثي حمزة بن عبد المطلب رثاء جمع فيه بين الأسلوب الجاهلي القديم والإسلامي الجديد، بين الندب والتأبين إذ يقول: (ابن سيد الناس، ١٩٩٣، عيون الأثر، ٤٧/٢)

دَع عَنكَ داراً قد عفا رَسمُها ... وَابكِ على حمزةَ ذي النائِلِ
ما لِشَهيدٍ بَينَ أَرحامِكُم ... شَلَّت يَدا وَحشِيٍّ مِن قاتِلِ
أَظلَمَت الأَرضُ لِفقدانهِ ... وَاِسوَدَّ نورُ القمرِ الناصِلِ
صَلَّى عليكَ اللهُ في جَنَّةٍ ... عاليةٍ مُكَرمَةٍ الداخِلِ
كُنّا نَرى حَمزَةَ حِرزاً لنا ... مِن كُلِّ أَمرٍ نابَنا نازِلِ

ويقول أبو زبيد الطائي في رثاء الإمام علي (كرّم الله وجهه) وهو من رثاء التأبين: (الطائي، ١٩٦٧، شعر أبي زبيد الطائي، ص ٦٤)

إنَّ الكِرامَ على ما كانَ مِن خُلُقٍ ... رَهطُ اِمرِئٍ خارَهُ لِلدينِ مُختَارُ
طَبٌّ بَصيرٌ بِأَضغانِ الرِجالِ وَلَم ... يَعدُل بِخَبرِ رَسُولِ اللهِ أَحبارُ
وَقَطرَةٌ قَطَرَت إذ حَانَ مَوعِدُها ... وَكلُّ شيءٍ لَهُ وَقتٌ وَمِقدَارُ
حَتّى تَنَصَّلَها في مَسجِدٍ طُهُرٍ ... عَلى إِمامِ هُدىً إنَّ مَعشَرٌ جَاروا
حُمِّت لِيَدخُلَ جَنّاتٍ أَبو حَسَنٍ ... وَأَوجَبَت بَعدَهُ لِلقاتِلِ النَّارُ

ثانياً: غرض الهجاءلقد تطور غرض الهجاء في نهاية العصر الإسلامي فأصبح أشبه بالمناظرات العقلية والاحتجاجات ضد الخصوم وعرض الحجج وتفنيدها والرد عليها حتى أصبح الهجاء ذا لمحة سياسية وأصبح شعر الهجاء يعبر عن التأزم السياسي الفكري العقائدي في ذلك العصر ولعل خير مثال ما دار بين الشاعرين كعب بن جعيل الذي عبر عن انتمائه السياسي من خلال هجائه لخصومه إذ يقول: (المبرد، ١٩٩٧، الكامل في اللغة والأدب، ٢٥٨/١)

أَرى الشّامَ تَكرَهُ مُلكَ العِراقِ ... وَأَهلَ العِراقِ لَهُم كَارِهونا
وَقَالوا عَليٌّ إمامٌ لنا ... فَقُلنا رَضينا ابنَ هِندٍ رَضينا

فرد عليه قيس بن عمر النجاشي مناقضا ومظهرا انتمائه قائلا: (المبرد، ١٩٩٧، الكامل في اللغة والأدب، ٢٦١/١)

دَعًا يا مُعاوِيَ مَا لَن يَكُونا ... فَقَد حَقَّقَ اللهُ مَا تَحذَرُونَا

أَتاكُم عليٌّ بِأَهلِ الحِجازِ وَهلِ العِراقِ فَما تَصنَعونا

وقد تميز الهجاء في العصر الإسلامي – وهو مما يعد تطورا في هذا الغرض– بعمق الأفكار وخصوبتها ودقّتها وهذه السمات نلمحها في عدد غير قليل من القصائد السياسية التي تعبر عن الأحداث وتعد نموذجا متطورا لشعر الهجاء وبعد أن أصبح الشعر أداة للتعبير عن الأحداث وأداة إعلامية لنشر الدعوة الإسلامية كان طبيعيا أن يخوض الشعر في السياسة فيعلن ولاءه لطائفة ومعارضة أخرى وهذا الموقف تجلى في المعركة اللسانية التي دارت بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشركين وتطور هذا الشعر بعد وفاة الرسول (الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٥٥/٣) واجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة وتطور أكثر بعد مقتل عثمان بن عفان والفتنة التي حدثت بعد مقتله وما قيل من شعر آنذاك يعد أكثر جرأة وخطورة للتعبير عن انقسام المسلمين وهو ما أباح به شعراء الهجاء آنذاك.ويمكن ان نعد استخدام الشاعر الإسلامي ثقافتين متناقضتين لونا من التجديد في قصيدة الهجاء فقد سبق وذكرنا أن الشاعر الإسلامي وقع تحت تأثير التيار الجاهلي القديم والتيار الإسلامي الجديد ولذلكَ نراه يمزج بين أسلوبين في قصيدة هجائية واحدة أحيانا وقد يتفرد بأحد الأسلوبين . ولعل حسان بن ثابت كان أجرأ الشعراء الهجّائين إذ استخدم أسلوبا جاهليا في هجائه لأبي سفيان بن الحارث أحد شعراء كفار قريش يقول في ذلك: (الجرجاني، ٢٠٠١، دلائل الإعجاز، ص ١٢٣)

لَقَد عَلِمَ الأَقوامُ أَنّ ابنَ هاشمٍ هُو الغُصنُ ذُو الأَفنانِ لا الوُاحدُ الوغدُ
وَمَالَكَ فِيهم مَحتِدٌ يَعرِفونَهُ فَدُونَكَ فَالصَق مِثلَ ما لَصِقَ القِردُ
وَإِنَّ سَناءَ المجدِ مِن آل هاشمٍ بَنو بنتِ مَخزومٍ وَوالِدُكَ العَبدُ
وَما وَلَدَت أَفناءُ زُهرَةَ مِنكُم كَريماً وَلَم يَقرَب عَجائِزَكَ المَجدُ
وَلَستُ كَعبّاسٍ وَلا كَابنِ أُمّهِ وَلَكن هُجَينٌ لَيسَ يُورى لَهُ زَندُ
وَكُنتَ دَعِيّاً نِيطَ في آلِ هاشمٍ كَما نِيطَ خَلفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفردُ

ثالثاً: غرض المديح استمر غرض المديح في العصر الإسلامي ولم يضعف بل ارتقى بفضل الإسلام فأصابه ما أصابه من التجديدلاإذ صدقت نوايا الشاعر المادح وأصبح المديح وسيلة لتمجيد الأخلاق العليا والمثل القويمة التي يرتضيها المجتمع، لقد استمر المديح في صدر الإسلام خارجا عن نطاق المديح الشخصي أو التكسبّي إلى المديح الذي يجعل من الممدوح إطارًا لقضية عامة، ودعوة لقيم خلقية أقرها الإسلام وأكدها الشاعر من خلال شخصية الممدوح ويدخل في هذا الإطار كل الشعر الذي قيل في مديح شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته الكرام، (الحارثي، المدح: أنواعه وضوابطه، ص ٣٢) ومن هنا يمكننا أن نرصد أهم ملامح التجديد في غرض المديح وهي:

أ. التزام شعراء المديح في هذا العصر بالتوجيه العام الذي وجه الإسلام الشعر والشعراء فيه الى نشر القيم الخلقية وتقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ونشر الفضيلة، فالمديح أوسع الاغراض الشعرية وأصلحها لذلك الغرض النبيل وما مدائح الشعراء للرسول الا نماذج جيدة لهذه الغاية النبيلة وهذا عبد الله بن رواحة يمدح الرسول لشخصه ونبوته وشفاعته، فهو صاحب الشفاعة يوم القيامة وأن من يحرم شفاعته تسوء عاقبته ويدعو له (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنصر والتأييد، في ذات الوقت يشير الى مكانته ونبوته ويؤكد رسالته السماوية التي بعث لنشرها بين الناس، يقول: (ابن حديده، المصباح المضيء، ١٥٠/١)

أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

ب. اختفاء المديح التكسبي وموته في ظل الإسلام لاختفاء مبرراته ودوافعه ونحن نعرف أن شعر التكسب يقال للرغبة أي دافعه مادي، يقوله الشاعر زورًا وبهتانًا وتملقًا وطمعًا في الممدوح؛ ولذلك كان الشاعر يبالغ ويدعي ويرفع الممدوح درجات ويضفي عليه صفات ليست فيه وبذلك ينطبق عليهم وصف القرآن الكريم (يقولون ما لا يفعلون) وكل هذا حاربه الإسلام وحرمه؛ لذلك فلم يعرف هذا العصر الا المديح الصادق الذي يكون دافع الشاعر فيه الحب الصادق والإعجاب الحقيقي بشخصية الممدوح وغالبًا ما تكون شخصية الرسول أو أحد أصحابه، (الحارثي، المدح: أنواعه وضوابطه، ص ٣٣) ومثل هذا المديح يطالعنا في قصيدة كعب بن مالك الذي يشير فيها أنه عليه الصلاة والسلام مؤيد من الله تعالى بالمعجزات إذ يشير الى معجزة الاسراء وتسبيح الحصى بين يديه: ("الديوان"، https://www.aldiwan.net/poem77019.html)

فإن يك موسى كلم الله جهرة على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلم الله النبي محمدا على الموضع الأعلى الرفيع المسوم

وإن تك نمل البر بالوهم كلمت سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمي

فهذا نبي الله أحمد سبحت صغار الحصى في كفه بالترنم

ويلاحظ اقتباس الشاعر من القرآن الكريم اقتباسًا معنويًا، أو إشاريًا، فقد ألمح في البيت الأول إلى الآية القرآنية من سورة النساء أية: ١٦٤ قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (سورة النساء، آية ١٦٤) وفي البيت الثالث إشارة الى قوله تعالى في سورة النمل، الآية: ١٨: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النمل، آية ١٨) وفي البيت الأخير ذكر خبر تسبيح الحصى في يد الرسول عليه الصلاة والسلام.

ت.ظهور فن البديعيات وهو مصطلح أدبي يطلق على مجموعة من القصائد التي قيلت في مديح الرسول والاعتذار منه وهي قصائد قالها المخضرمون، سميت بالبديعيات لجمالها وبديع أسلوبها والبديعيات ليس غاية الشاعر منها التقرب إلى الرسول، أو مدحه مدحًا زائفًا لغرض تكسبي ولكنّه مدحًا خالصًا صادقًا، يخلو من أي شائبة دافعه الإعجاب بشخص الرسول وقد تحول هذا الضرب من المدائح الى ابتهالات دينية نبوية مازالت تردد في المناسبات الدينية وتتميز البديعيات بجمال لغتها وسهولتها وخلوها من الغريب والحوشي وخلوها من الثقل والتعقيد (أبو زيد، ١٩٨٣، البديعيات في الأدب العربي، ص ٤٦) (سلطان، ١٩٨٦، البديع: تأصيل وتجديد، ص ٢٢) ومن نماذج ذلك قول حسان بن ثابت: (البوطي، ١٤٠٨هـ، مختارات من أجمل الشعر، ص ١٩)

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي الى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الارض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد

ويدخل في البديعيات ما قيل في الاعتذار من الرسول أو ما يعرف (بالاعتذاريات) ولعل أروع اعتذارية هي قصيدة كعب بن زهير الذي قالها في مدح الرسول والاعتذار منه وكان الرسول قد أهدر دمه بعد أن قال شعرًا يسيء إلى الرسول وأصحابه ومنها قوله: (البوطي، ١٤٠٨هـ، مختارات من أجمل الشعر، ص ١٩)

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رابعاً:غرض الفخر

مظاهر التجديد في غرض الفخر الفخر من أغراض الشعر الملازمة للحماسة ووصف الحرب والهجاء وهو من الأغراض التي تدور في فلك القبيلة من مديح وهجاء والفخر في الجاهلية قام على أسس ثابتة ومعروفة، كالفخر بالأنساب والأحساب وبكثرة الأولاد والاموال وبمكارم الأخلاق كالشجاعة والكرم وغيرها وحين جاء الإسلام استمر الشعراء يفخرون ولكن وفق أسس جديدة أوجدها الإسلام في حياة المسلمين وقد اتجه الفخر عند شعراء صدر الإسلام اتجاهين: (ضيف، ١٩٦٠، تاريخ الأدب العربي، ٣٨٣/٩)أولهما: اتجاه تشرب بروح الإسلام (اتجاه إسلامي) وترك وراءه الولاء القبلي، فلم يعد الشاعر يفخر بالعصبية القبلية ولا التفاخر بالأنساب والأولاد والعدة والعدد والمال والجاه والثروة، بل ركز على معان جديدة للفخر تتمثل في:

-الفخر بالجهاد والشهادة وانتصار المسلمين في حربهم مع الكفار وقوتهم.

-الفخر بالإسلام وتعاليمه وبالرسول ومعجزاته وخلقه والقرآن الكريم والقيم العظيمة الواردة فيه.

-الفخر بإيمان الإنسان بالإسلام وتصديقه للوحي وعمله بالشريعة المنزلة والالتزام بالعبادات ولعلّ مثال ذلك قول كعب بن مالك يشيد بصبر المسلمين عند لقاء الكفار ويفخر برسول الله وطاعتهم له: (ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٥/٢)

نجالد لا تبقى علينا قبيلة من الناس إلا أن يهابوا ويفزعوا

وفينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلي عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع
وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هول المنايا واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا الى ملك يحيا لديه ويرجع

وهذا عبد الله بن رواحة يفخر فخرًا إسلاميًّا بهيبة الإسلام وحضور الرسول بينهم وبفضل بني هاشم رهط الرسول على العباد، يقول: (ابن رشيق، ١٩٧٢، العمدة، ٢١٠/١)

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا حي من الناس إن عزوا إن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلا ماله غير

ثانيهما: الفخر بالقيم العربية الجاهلية التي أبقى عليها الإسلام والتي جاء الرسول متمما لها {إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق} (العسقلاني، فتح الباري، ٦٦٤/٦) مثل إكرام الضيف، العفة والشجاعة وغيرها وهذا الفخر تقليدي لا يتنافى مع تعاليم الإسلام، بل إنّ الإسلام أقر هذه القيم الخلقية وأكد عليها ومثل هذا الفخر نراه مبثوثًا في أغراض الشعر الأخرى كالمديح والرثاء ووصف الحرب والقتال.وهناك لون آخر من الفخر كان إلى جانب الفخر الإسلامي الجديد وهو الفخر بأسلوب جاهلي وكما ذكرنا أن تأثر الشعراء بالموروث الثقافي الجاهلي الذي انسحب على شعرهم الإسلامي فبدت الأغراض الشعرية متأثرة به كما وجدنا ذلك في الرثاء والهجاء وفي الفخر أيضًا، فقد فخر الشعراء بأنفسهم وبأقوامهم وقبائلهم وبأحسابهم وأنسابهم ومفاخرهم الجاهلية بما فيها الآباء والأجداد، ففخر الشعراء المسلمين يمثل جانبين: (ضيف، ١٩٦٠، تاريخ الأدب العربي، ٣٨٣/٩)

-جانب ديني يعتز بالإسلام وبرسول الله وجنوده وجهاده وفيه يظهر التأثر بالإسلام والقرآن واضحًا.

-جانب شخصي ذاتي يفخر بالنفس والمال والعشيرة وهذا اللون جاهلي شكلًا ومضمونًا. ومثاله قول حسان بن ثابت يفخر ويشمت بقتل عمرو بن ود فارس قريش يوم الخندق وقد قتل بسيف الإمام علي (كرّم الله وجهه): (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢٩٩/١)

بقيتكم عمرو أبحناه للقنا بيثرب تحمي والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند ونحن ولاة الحرب حين نصول
ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت معاشركم في الهالكين تجول

فهذا الفخر لو لم ترد فيه لفظة (بدر) لظننناه فخرًا لشاعر جاهلي بوقائع جاهلية.

المطلب الثاني: الأغراض الشعرية التي ضعفت وماتت في الإسلام:

١. **الغزل**
٢. **وصف الخمرة**
٣. **المديح التكسبي**

ويلاحظ إنّ هذه الأغراض لم تعد تنسجم مع واقع الحال الجديد ولم تخدم الإسلام في شيء، كما أنّها تتنافى مع تعاليم الإسلام وقيمه التي حثت على التقوى ومكارم الأخلاق والابتعاد عن الكذب وصيانة المرأة والبعد عن الفحش والتبذل الأخلاقي.

أولا: الغزل أما التغزل بالنساء والتودد إليهن بالشعر المكشوف وبأسلوب يزري بهن ويقلل من قيمتهن ويجعل منهن وسيلة للمتعة وإثارة الشهوة، فقد نهى عنه الإسلام ولم يشجع عليه، لأنه أراد بناء مجتمع لا يشغله القول الرقيق والفعل الشائن، كما أن الإسلام كرم المرأة وجعل لها شأنا كبيرا وصانها من التبذل والهوان ولم يشأ أن يجعلها وسيلة للهو والمتعة وإثارة الشهوات كما كانت أيام جاهليتها ولهذا لم يعد الغزل مناسبا لها ولا لمجتمع يقوم على الخلق الرصين، لذلك ابتعد الشعراء عن الخوض في ذلك ومن فعل منهم ذلك فهو قد سلك أحد مسلكين، (الطنطاوي، ١٩٨٨، فكر ومباحث، ص ٣٥)أو طريقا من طريقين، هما:

١- الغزل التقليدي في مطالع القصائد لا يؤاخذ عليه الشاعر لأنه لا يراد منه التغزل الحقيقي ولم يتولد عن علاقات حقيقية مع النساء، إنما كان مجرد وسيلة لغاية وهي الغرض الاصلي في القصيدة كالمديح أو الهجاء أو الفخر والوصف وغيره. (ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي،

ط١٢، ص ٣٧)وقد وجدنا هذا النمط من الغزل عند شعراء صدر الإسلام الكبار كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهم وهذا حسان بن ثابت يقول في مقدمة قصيدته في هجاء أبي سفيان بن الحارث متغزلًا غزلًا حسيًّا: (ابن عبد البر، ١٩٩٢، الاستيعاب، ٣٤٤/١)

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء
وكانت لايزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

٢-الغزل الرمزي، فقد يعمد الشاعر إلى التخفي وراء قناع معين للهروب من عقاب السلطة الدينية كالتغزل بشجرة أو نخلة أو حمامة، في حالة أراد التغزل بامرأة فهو يتخفى بهذه الأقنعة ويضفي عليها صفات المرأة التي أحبّها خوفًا ممّن حوله كقول حميد بن ثور الهلالي يتغزل بالسرحة أو الشجرة: (ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٥٢٣)

أبى الله إلا سرحة مال على كل أفنان العضاة تروق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق
فهل أنا إن عللت نفسي بسرحة من السرح مسدود الي طريق
فيا طيب رياها ويا برد ظلها إذا حان من شمس النهار ودوق

وتوحي بعض النصوص بدلالة الغزل في وصف الحمامة وكأنها امرأة جميلة يتأملها الشاعر ويصف مفاتنها كحبيبة وطالما كانت الحمامة عند الشعراء رمزا للحنين والشوق والغربة والمرأة الحبيبة. يقول ناقد بن عطارد العبشمي: (النويري، ١٤٢٣هـ، نهاية الأرب، ٢٦٧/١٠)

كأن بنحرها والجيد منها إذا ما أمكنت للناظرينا
مخطا كان من قلم لطيف فخط بجيدها والنحر نونا

ثانيا: وصف الخمرة الإسلام للخمرة ومنع تعاطيها وعقوبة شاربها، لذلك امتنع الشعراء من الخوض فيها وذكرها ومع هذا فهناك من وصفها وجاهر في شربها تمردًا على تعاليم الإسلام، مع اعترافه الصريح بحرمتها في الإسلام ويبدو أنه من الصعب على شاعر كان يشرب الخمرة طيلة حياته في الجاهلية فتمنع عنه في الإسلام ولذلك فقد عوقب هذا الشاعر وسجن لمرات من أجل ذلك وهكذا فمثل هؤلاء الشعراء أوقعهم الإسلام في حرج بين ما يدعون إليه وما تعودوا هم عليه وتأصل في خلقهم وسلوكهم وفنهم أيضًا. وفي ذلك يقول أبو محجن الثقفي: (البصري، الحماسة البصرية، ٣٨٧/٢)

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت وحال من دونها الإسلام والحرج
فقد أباكرها صرفا وأمزجها ريا وأطرب أحيانا وأمتزج
وقد تقوم على رأسي منعمة فيها إذا رفعت من صوتها غنج

وهكذا نال هذا الشاعر عقوبته بالسجن تارة والجلد أخرى وبحرق حانات الخمر في زمن عمر بن الخطاب.

ثالثا: المديح التكسبي وهذا اللون من المديح ارتبط بالكسب المادي فهو يقوم على المبالغة والكذب والادعاء واضفاء الصفات الحسنة المبالغ فيها على شخص لا يستحقها وليست فيه من أجل الكسب المادي لا أكثر ومثل هذا المدح يدخل في باب المعاصي والتحريم والمنكر، لذلك منعه الإسلام وحذر الشعراء منه فلا نجد لمثل هذا اللون من المدح وجودا في الإسلام، فالمديح الإسلامي قد انحصر في شخصيات محدودة كما سبق واشرنا، كما انه لا يتجاوز المدح الصادق الذي يقوم على الصدق والأمانة وخدمة الإسلام ورضا الله وعدم تجاوز حدوده، ذلك لأن الشخصيات الممدوحة قد تجسدت فيها القيم الخلقية حقيقةً وليس ادعاء وجاء الشاعر وصور تلك القيم وأبرزها من أجل الارتقاء بالإسلام ورجاله فحسب.

الخاتمة:

ومن خلال ما مرّ يمكن أن نلخص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث بما يلي:

١. نزّه القرآن الكريم رسول الله -ﷺ- عن قول الشعر أو نظمه ولا يعدّ هذا ذم للشعر والشعراء.

٢. صنف القرآن الكريم الشعراء إلى صنفين؛ صنف طائش يقول ما لا يفعل ويتبع الشياطين وصنف آخر لا غبار عليهم وهم أهل الإيمان والعمل الصالح والذكر.

٣. أثر القرآن الكريم في الأسلوب فهو أثر واضح وكبير، فالأسلوب الذي نزل به القرآن لا يضاهي ولا يضارع، فنجد أنه يحوي الأسلوب الخطابي والأدبي والقصصي، كما أن القرآن ارتفع بالأساليب القديمة وقد كان لهذا الأسلوب تأثير كبير على الشعر.

٤. جدد الإسلام في رؤية الشعراء للأغراض الشعرية، فالرثاء لم يعد البكاء والندب، بل أصبح يحمل قيم وأفكار الدين الإسلامي من إيمان بقضاء الله وقدره والإيمان بالجنة والنار.

٥. تطور غرض الهجاء في نهاية العصر الإسلامي فأصبح أشبه بالمناظرات العقلية والاحتجاجات ضد الخصوم وعرض الحجج وتفنيدها والرد عليها حتى أصبح الهجاء ذا لمحة سياسية وأصبح شعر الهجاء يعبر عن التأزم السياسي الفكري العقائدي في ذلك العصر.

٦. استمر غرض المديح في العصر الإسلامي ولم يضعف بل ارتقى بفضل الإسلام فأصابه ما أصابه من التجديد إذ صدقت نوايا الشاعر المادح وأصبح المديح وسيلة لتمجيد الأخلاق العليا والمثل القويمة التي يرتضيها المجتمع، لقد استمر المديح في صدر الإسلام خارجا عن نطاق المديح الشخصي أو التكسبّي إلى المديح الذي يجعل من الممدوح إطارًا لقضية عامة.

٧. من الأغراض الشعرية التي ضعفت وماتت في الإسلام، الغزل ووصف الخمرة والمديح التكسبي.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١. ابن حديده، محمد بن عبد الله. المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (تحقيق: محمد عظيم الدين). عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

٢. ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، بلا تاريخ.

٣. ابن رشيق، القيرواني. (١٩٧٢م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤). دار الجيل، لبنان.

٤. ابن سيد الناس، محمد بن محمد اليعربي. (١٩٩٣م). عيون الأثر. دار القلم، بيروت، ط١.

٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (١٩٩٢م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١). دار الجيل، بيروت.

٦. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. أدب الكاتب (تحقيق: محمد الدالي). دار الرسالة، بلا تاريخ.

٧. ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري. السيرة النبوية. بلا ناشر، بلا تاريخ.

٨. أبو زيد، علي. (١٩٨٣م). البديعيات في الأدب العربي: نشأتها وتطورها (ط١). عالم الكتب.

٩. الباقوري، أحمد حسن. (١٩٧٣م). أثر القرآن الكريم في اللغة العربية (ط٢). دار المعارف، مصر.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٩٣م). صحيح البخاري (تحقيق: مصطفى البغا، ط٥). دار ابن كثير، دمشق.

١١. بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي (ترجمة: عبد الحليم النجار، ط٢). دار المعارف، مصر.

١٢. بريغش، محمد حسن. (١٩٩٦م). الأدب الإسلامي: أصوله وسماته (ط٢). مؤسسة دار الرسالة، بيروت.

١٣. البصري، صدر الدين. الحماسة البصرية (تحقيق: مختار الدين أحمد). عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

١٤. البوطي، محمد سعيد. (١٤٠٨هـ). مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول (ط١). دار المعرفة، دمشق.

١٥. بيلو، صالح آدم. من قضايا الأدب الإسلامي. دار المنارة، جدة، بلا تاريخ.

١٦. الجبوري، يحيى. (١٩٦٤م). الإسلام والشعر. مكتبة النهضة، بغداد.

١٧. الجرجاني، عبد القاهر. (٢٠٠١م). دلائل الإعجاز (تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١). دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. الجيزاوي، سعد الدين. دراسات في الأدب العربي: صور من العصور. دار النهضة، مصر، بلا تاريخ.

١٩. الحارثي، حمود بن جابر. المدح: أنواعه وضوابطه. مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ١٢١.

٢٠. الحمدان، أحمد بن عبد العزيز. دليل مكتبة المرأة المسلمة. وزارة الأوقاف السعودية، بلا تاريخ.

٢١. الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.
٢٢. سلام، محمد زغلول. (١٩٦١م). أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع (ط٢). دار المعارف، مصر.
٢٣. سلطان، منير. (١٩٨٦م). البديع: تأصيل وتجديد. منشأة المعارف، الإسكندرية.
٢٤. ضيف، شوقي. (١٩٦٠م). تاريخ الأدب العربي (ط١). دار المعارف، مصر.
٢٥. ضيف، شوقي. الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ط١٢). دار المعارف، مصر.
٢٦. الطائي، أبو زبيد. (١٩٦٧م). شعر أبي زبيد الطائي (تحقيق: نوري حمودي القيسي). دار المعارف، بغداد.
٢٧. الطنطاوي، علي. (١٩٨٨م). فكر ومباحث (ط٢). مكتبة المنارة، مكة المكرمة.
٢٨. العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري (تحقيق: عبد العزيز بن باز). دار الفكر، بلا تاريخ.
٢٩. غرونبام، فرانز. (١٩٥٩م). دراسات في الأدب العربي (ترجمة: إحسان عباس). مؤسسة فرانكلين.
٣٠. القرشي، أبو زيد. جمهرة أشعار العرب (تحقيق: علي محمد البجادي). نهضة مصر للطباعة، بلا تاريخ.
٣١. المبرد، محمد بن يزيد. (١٩٩٧م). الكامل في اللغة والأدب (ط٣). دار الفكر، القاهرة.
٣٢. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. موسوعة المفاهيم الإسلامية. مصر، مرقمة آليًا.
٣٣. مسلم بن الحجاج القشيري. (١٩٨١م). صحيح مسلم بشرح النووي. دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٤. مكرم، عبد العاطي. (١٩٦٥م). القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية. دار المعارف، مصر.
٣٥. الناصر، محمد. (١٤١٠هـ). أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام. مجلة البيان، العدد ٢٤.
٣٦. النويري، شهاب الدين. (١٤٢٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب (ط١). دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
٣٧. "الديوان". https://www.aldiwan.net/poem77019.html